كشف أمريكا

رواية تاريخيـــة قصيرة

بقلم محمد عبد الهادى يومى أفندى

منذ ٤٥٠ سنة ، لم يكن معروفاً من الدنيا إلا أجزاء من قارات أوربا وإفريقية وآسيا . وكانت حاصلات البلاد الشرقية فى آسيا ترد إلى أوربا عن طريق القطر المصرى ؛ فتحمل فى البحر من الهند والصين وغيرهما إلى السويس ، ثم تنقل على الدواب من السويس إلى الاسكندرية ، ومنها تشحن فى السفن مرة أخرى كى تنقلها إلى أوربا . ولا يخفى ما فى تفريغ البضائع وإعادة شحنها من المشقة ، فضلا عن الضرائب التى كانت مصر تأخذها على البضائع التى تمر من بلادها . لذلك أخذ كثير من الأوربيين يبحثون عن طريق بحرى يصل الشرق بالغرب . وكان ممن حاولوا ذلك بحار من أهل جنوه ، يدعى كرستوف كولمبوس ، عبر المحيط الأطلنطى بثلاث سفن شراعية صغيرة ، على أمل أن يدور حول الكرة الأرضية ، ويصل إلى الهند . ولكنه بدل أن يصل إلى الهند وصل إلى أرض جديدة هى جزء من قارة أمريكا التى لم تكن معروفة إلى ذلك اليوم ؛ ولذلك أطلق عليها اسم الدنيا الجديدة .

واليكم قطعة تمثيلية تبين كيف بدأ رحلته .

* * *

المنظر : فى بلاط ملك اسبانيا فى سنة ١٤٩٢ .

الملك فرديناند ملك اسبانيا وزوجته الملكة ايزابلا ، جالسان على كرسيين كبيرين مذهبين ، وحولهما وزراء وأشراف وجنود .

(يدخل أحد الحجاب)

الحاجب :

مولاى . بالباب رجل يدعى كرستوف كولمبوس ، يريد أن يتحدث إليكم ، ولكنه لا يريد أن يذكر حاجته .

الملك :

ومن يا ترى يكون هذا الرجل ؟

وزير :

لعله يا مولاى الرجل الذى جاء إليكم منذ سنين ، وقال إنه يعتقد أن الأرض كرية ، وانه إذا سار الانسان فى المحيط غرباً ، فلابد أن يصل إلى الهند ، وطلب أن تمدوه بالسفن والمال ، كى يقوم بهذه الرحلة ، فيكشف عن طريق جديد للشرق

الملك :

نعم . انا نذكر ذلك الرجل . إنا لم نعره التفاتاً حينئذ ، لأنا كنا مشغولين بتحرير بلادنا من يد المسلمين . أما الآن ، وقد تم لنا الظفر ، واستولينا بمعونة الله على غرناطة ، وهى حصنهم الحصين ، فلنسمع ما يقوله ، لأن مشروعه إذا نجح ، كان فخراً عظيما لأسبانيا .

أحد الأشراف :

ولكن أتصدّقون يامولاى أن الأرضَ كرية ؟ ومن أينَ جاءه علم ذلك ونحن جميعاً نراها مُسطّحة ؟ . أنكذّبُ أعيننا ونصدق مثلَ هذا الرجل ؟

الوزير :

إنى لا أظنـــه يامولاى إلا محتالا مخادعاً . وقد سمعت أنه أرسل أخاه إلى الملك هنرى السابع ملك انجلترا يعرض عليه مشروعه ، ويطلب اليه المساعدة ، فسخر منه ورده خائبا .

الملكة :

وماذا يضرنا لو استمعنا إلى كلامه ؟ ألا يجوز أن يكونَ رجلاً صادقا أمينا ؟ إنى أسمع من عدة سنين أن بعضَ العلماء يقولون إن الأرضَ كرية ، وإنها تدورَ حولَ الشمس ، وهذا أمرٌ عجيب حقا ، ولكنه قد يكون صحيحا . وعلى كلّ حال ، من الهيّن علينا أن نُعطى هذا الرجلَ سفينتين أو ثلاثَ سفن وقليلاً من المال . فاذا نجحَ ، كانَ لنا الفخرُ والمجد . واذا فشل ، فلن تكونَ خسارتنا كبيرة .

الملك :

إنكِ على حقّ ياعزيزتى . أدخلِ الرجلَ علينا أيها الحاجب .

(يدخل كولمبس ويركعُ أمامَ الملكِ)

الملك :

قم أيها الرجل الطيب وأرنا وجهك ، وآسمعنا ما عندك ، لنرى مبلغَ إخلاصك فى قولك .

كولمبس : أيها الملكُ العظيمُ ، أيتها الملكةَ الرحيمة

إنى أبحث عن طريق يوصل إلى الهند ، تلك البلاد الغنية بثروتها وجواهرها الثمينة . لقد أثبتَ العلماءُ أن الأرضَ على شكلِ كرة ، ولما كانت الهندُ تقع فى الجهة الأخرى من الكرة ، فاننا نستطيع أن نصلَ اليها سواء أسرنا الى الشرق أم إلى الغرب . لذلك فكّرتُ فى أن أبحر إلى جهة الغرب ، لأصل إليها بعد أن أعبر المحيط ، وأعودَ إليكم بثروتها العظيمة ، إذا سمحتم لى بالسفن والمال والرجال .

الملك :

ألا تخافُ السيرَ فى هذا الطريق ؟

كولمبس :

لا أخافُ يا مولاى . فان التجارَ الذين يسافرون شرقا ، يقابلون فى طريقهم اللصوص والهمجَ ، ولكنى على يقين من أنه لا خوفَ علينا من ذلك إذا سرنا غربا .

الملكة :

إن بحّارتنا لابدّ يرتعدون خوفا من هذه الرحلة . لأنهم يعتقدون أن الأرضَ مسطّحةٌ ، وانّ السفينةَ إذا وصلت إلى نهايتها فى الغرب ، تقعُ فى حفرة لا قرارَ لها . وعلى ذلك فلا ينتظرُ من أمثال هؤلاء البحّارة أن يسيروا معك فى مثل هذه المخاطرة .

كولمبس :

إن ماتقولينه هو الحقيقة يامولاتى فالناس يعتقدون أنى مخبول . ولكنْ لدىّ فكرةٌ أخرى ، أرجو أن تسمحوا لى بذكرها

الملكة :

تفضل

كولمبس :

إن فى السجن كثيرين يقبلون أن يقوموا معى بهذه الرحلة ، لو جُعل هذا شرطا للافراج عنهم . فانهم لاشكّ يتوقون للخلاص من ظلمات السجن . ولو القَوْا بأنفسهم إلى المخاطر ، فهل تسمحون لى بهم ؟

الملك :

هذه فكرة صائبة . لا مانع لدَيْنا من أن يكون هؤلاء تحت تصرُّفك ، أيها الرجلُ الشجاعُ . كما ستكون السفنُ والمالُ رهنَ إشارتك . وعسى أن يحققَ الله أملك . فتذيع شهرُتنا ، وتزيد ثروتنا من بلاد الشرق الغنية .

كولمبس

مولاى مولاتى :

إننى مدين لكم بالشكر مادمت حيا . لقد ظن ملك إنجلترا وغيرُه من ملوك أوربا أننى مخبول . ولكن لى عظيم الرجاء فى أن يغيروا رأيهم متى أتممت رحلتى .

الملكة :

وداعا أيها البطل لقد أذنالك فى السفر فخذ ماتطلبُ من سُفُن ورجال ومال . وإنا لندعو لكَ بالتوفيق والنجاح .

النقـــود

بقلم محمد أحمد برانق أفندى

إذا أرسلك أبوك إلى الفاكهانى لتشترى أقةً من الموز فأىّ شىء تفكر فيه أولا لتأخذَه معك .

هو النقود التى تشترى بها . لأنك لاتستطيع أن تحصل على أقةِ موزٍ من غيرِ أن تدفعَ ثمنها

ولكن هل كان الأقدمون يتعاملون بالنقود كما تعامل الآن ، فاذا أرادوا أن يشتروا شيئا قدَّروا قيمته بالنقود فدفعوها ، وأخذوا حاجتهم ؟ لا . إنهم لم يكونوا يعرفونها

إذن كيف كانوا يتعاملون ، وكيف كان يحصل الواحد منهم على مايريد؟

كانوا يستعملون طريقة المبادلة ، فاذا أراد الفلاحُ مثلا أن يحصلَ على ثوب ، ذهب إلى النساج وأعطاه مقدارا من القمحِ أو الذرة وأخذ منه قطعةً من النسيج ، فذهب بها إلى الخياط ليخيطها له نظير مقدار آخر من القمح والذرة أيضا ، وبذلك كان الفلاحُ يستطيع أن يحصُلَ على ثوبه يلبسه ويستطيع كلٌّ من النساج والخياط أن يحصل على قوته.

ولكن كثيرا ما كان يحتاج الانسان إلى شىء فلا يستطيع الحصولَ عليه ؛ لأنه إذا أراد مثلا أن يُعطى ثوبا ويأخذ قمحا فقد لا يجدَ صاحبَ قمحٍ يحتاجُ إلى ثوبه . لذلك اتفق الناس على اتخاذ شىء واحد أساسا للتعامل والتبادل . إلا أن هذا الشىءَ كان يختلف باختلاف الممالك والأقطار . فالبلاد التى كثرت فيها الزراعةُ جعلت أساسَ التعامل الحبوبَ ، والبلادُ التى يكثر فيها النخيلُ جعلت أساسَ التعامل فيها التمر ، وهكذا

ولا تأخذْك الدهشةُ إذا قلتُ لك إن طريقةَ التبادل هذه لازالت موجودةً عندنا فى بعض القرى المصرية إلى اليوم .

فان الفلاح يعطى ابنه مطرا (كوزا من الذرة) ويرسله إلى الدكان ليشترى به فلفلا أو شايا ، ويأخذ رغيفا من الخبز ليشترى به فجلا أو جزرا ، وتستبدل المرأة كيلا من الترمس لطفلها الصغير بمثلة من الذرة ؛ بل أن الحلاق يتقاضى أجره كل سنة فى موسم المحصول عن كل فرد ربما من القمح وكيلة من الذرة ، وإن الرجل يتفق مع خادمه على إعطائه كل سنة نصف أردب من القمح وأردبا من الذرة نظير عمله عنده وإن شركة مصايد الأسماك التابعة لبنك مصر تتعامل الآن بالتبادل مع البدو الذين يصيدون السمك من البحر الأحمر فتأخذ منهم سمكا وتعطيهم دقيقا وملابس وسكرا وأرزا وشايا وغير ذلك مما يحتاجون اليه .

إلا أن التعامل بالتبادل تنجم منه صعوبات كثيرة كما قدمنا . لذلك لجأ الناس من زمن بعيد إلى اتخاذ نقود من المعدن، واعتبارها أساسا للتعامل . وما زالت الأمم ترقى وتتقدم حتى سكت النقود من الذهب والفضة لأنهما نادران ونفيسان وسهلا الحمل .

لماذا

لماذا تحرق «ريشة» الكتابة قبل أن تستعملها ؟

أظن أنك تفعل ذلك كما يفعل غيرك ، من غير أن تعرف السبب ، كما يحدث ذلك فى كثير مما تقوم به من الاعمال أليس كذلك ؟

إن سبب حرق الريش، هو أن المعامل التى تخرجها تغطيها عادة بطبقة رقيقة من مادة دهنية خاصة ، تحفظها من التأكل وتقيها الصدأ. وهذه المادة تمنع المداد من أن يعلق بالريشة ، عند بدء استعمالها . لذلك تراه يجتمع عليها ، فى نقط متفرقة ، حتى يزول أثر هذه المادة ، بعد استعمالها بقليل . أما اذا أحرقت الريشة قبل استعمالها فأن المادة الدهنية تزول وتحسن الكتابة بالريشة من أول الامر .

°°°

لم كانت السباحة فى الماء المالح أسهل منها فى الماء العذب؟

جواب ذلك يتوقف على ثقل جسم الانسان بالنسبة لثقل الماء . فالجسم يغطس فى الماء اذا كان أثقل منه كالحجر ويطفو على سطحه اذا كان أخف منه كالخشب أو الفلين . وقد يظن البعض أن جسم الانسان أثقل كثيراً من الماء ، ولكن هذا وهم ، لأن أكثر من ثلاثة أرباع أجسامنا ماء ، والباقى بعضه أثقل من الماء كالعظام ، وبعضه أخف من الماء كالدهن . ونتيجة ذلك أن الجسم فى مجموعه أثقل قليلا من الماء العذب ، ولذلك يغطس فيه إذا ترك وشأنه .

ولما كان ماء البحر أثقل من الماء العذب ، لاحتوائه على أملاح ذائبة فيه ، كانت السباحة فيه أسهل ، لانه يرفع الجسم أكثر من الماء العذب .

وماء بعض البحار والبحيرات شديد الملوحة ، ومن أمثلة ذلك البحر الميت فى فلسطين . فأن ماءه يحتوى على كمية عظيمة من الملح ، لدرجة تجعله أثقل من جسم الانسان . ولذلك لا يمكن أن يغرق الانسان فيه .

وعلى العكس من ذلك توجد سوائل أخف من الماء كثيراً كالزيت والكحول بحيث لو وجدت بحيرة مملوءة بسائل منها وسقط فيها انسان ، لما أمكنه أن يسبح فيها مهما يكن ماهراً فى السباحة ، لأن جسمه يغطس فى ذلك السائل كما يغطس الحجر فى الماء .